

الهدفية وثقافة الفن



◆ الهدفية وثقافة الفن

الفن وسيلة إيصالية، تهدف إيصال المعاني البناءة التي تخدم الإنسان، وتسهم في نشر الخير والفضيلة وسط الناس، ومتى خرجت عن هذا الهدف فهي ثقافة عبثية هدامة، تزرع الألتفات الى مغارس السوء في النفس والمجتمع، مما يسهم في تفكيك أواصره الروحية، والأخلاقية، والعادات الكريمة فيه.

ومن هنا كان التمثيل القصصي مقصداً قرآنياً لبيان الأهداف البناءة للحياة الإجتماعية، وإلفات النظر إلى عمقها الروحي، والذاتي في النفس، كما في قوله تعالى: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ

عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَدَأَ
يَدَيَّهُ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (يوسف:111).

فالفن بتعدد صورهِ زماناً ، وطرقهِ ثقافة، إما هادف، وإما عبثي ، ولا ينصبغ بالأول ، ويتنزه عن
الثاني إلا حيث تحفظ فيه الخصوصيات الأخلاقية للمجتمعات، دينيةً كانت أو قيميةً ، وإلا فهي من إشاعة
الفاحشة: " إِنَّ السَّذِينَ يُحْدِثُونَ أَنْ تَشِيَعِ الْفَاحِشَةُ فِي السَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (النور:19).

ولا يبرره أنه فن، وكاتبه ومثله يرسم ثقافة خاصة قد يستحسنها بعض أطراف المجتمع؛ فان الخصوصيات
العامة وبالخصوص مع كونها تمثل أخلاق المجتمع مقدمة على كل اعتبار، وفي الحديث عن الحبيب(صلى الله
عليه وآله وسلم): «من أذاع فاحشة كان كمتدثها» (الكافي:ج2ص497).

فالفن الهادف هو الذي يؤدي رسالته التي تحافظ على الثقافة العامة من دون خدش لكرامة الأفراد ،
والمجتمع .

وكلما كانت إحتائته بعيدة عن المعاني السلبية كلما كان أثره الإيجابي أكبر وأكثر وقعاً في النفوس
، والعكس بالعكس ، وهذا مميّز القصص القرآني، عن الكثير من صور الفن المعاصر ، حيث يتكأ القصص
القرآني على الكناية وأسلوب التشويق النفسي، فلا يولد عند المتعايش معه صور السلبية كما في قوله
تعالى: " وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِزْنُكُمْ لَسَأَلَ تُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (28) أَتَزْنُكُمْ لَسَأَلَ تُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطَعُونَ
السَّيْلَ وَتَأْتُونَ فِي زَادِكُمْ الْمُنْذِرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ
قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ " (العنكبوت:28-29).
فاستعمله في معالجة نكسة مجتمعية بصورة أدبية لا تخدش الحياء العام .

أما التصوير الإحتائي الفاحش فلا يمكن إعتباره بناءاً بحال؛ مع توليده لأفكار الهدم الإحتماعي ،

وبعيداً عن محاكمة النوايا، فأن الفن إذا لم يكن هادفاً فهو مقابل لإرادته تعالى: " وَاللَّهِ
يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِكُمْ وَيُرِيدُ السَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا
مَيْلاً عَظِيماً" (النساء:27). وثقافة التبرير لا تغير من واقع الحال شيئاً: " وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ ° لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنْ سَأَلْنَاكُمْ عَنْ مَالِكِنَا ° (البقرة:11) . وهو ما
يوجب عدم التعاطي معهم بحال لأنه سبيل لإشاعة عوامل الهدم الإجتماعي , وهي مسؤولية أخلاقية قبل أن
تكون دينية , قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ
الشَّيْطَانِ ° وَمَنْ ° يَتَّبِعْ ° خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ° فَإِنَّ زُجْرَهُ ° يَأْتِيهِمْ بِالْأَفْخَاشِ °
وَالْمُنْكَرِ ° وَالْوَلْوَلِ ° فَاصْلُوا ° اللِّسَانَ ° عَالِيَهُمْ ° وَرَحْمَتُهُ ° مَا زَكَا مِنْكُمْ ° مِنْ ° أَحَدٍ °
أَبَدًا ° وَلَكِنَّ ° اللِّسَانَ ° يُزَكِّي ° مَنْ ° يَشَاءُ ° وَاللَّهُ ° سَمِيعٌ ° عَلِيمٌ ° " (النور:21) .